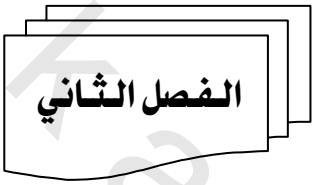

أهل الحق: الروح في عالم مزدوج

obeikan.com

obeikan.com

أيها الرجال لا تخشوا عقوبة الموت. موت الرجل يشبه غطس البط.

(مثل يارساني شائع)

أتأمل ذلك طوال النهار، ثم أردِّد ليلاً: من أين جئت، وما الذي يفترض بي أن أفعله؟ لست أدري.
روحي تنتمي لمكانٍ آخر، أنا متيقنٌ من ذلك، وأنوي أن أنتهي هناك.

(جلال الدين الرومي)

• • • • •

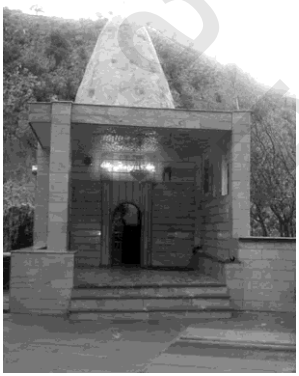

يُراد بعبارة "العالم المزدوج" الواردة في العنوان أعلاه، التلميح لجوهر فلسفة دين أهل الحق في الوجود، تلك الفلسفة التي ترتكن للإيمان بوجود عالمين: الأول، هو ذلك العالم (مع الإشارة إلى

opeikar.com

المثل اليارساني المقتبس أعلاه) الذي يحيا فيه الروح المرموز له بالبط قبل أن يغطس تحت سطح الماء، بينما يتمثل العالم الثاني في ذلك العالم غير المرئي الذي يخبره الروح تحت سطح الماء عندما ينغمر البط على نحو خاطف. بينما يتبلور العالم الأول ماديًا ومرئيًا وملموسًا من قبل البشر، يكون العالم الثاني غيبيًا لا منظورًا من قبلهم.

وعلى سبيل تفحص المصطلح اليارساني (لنلاحظ أن لفظ يار يعني وطن الله باللغة الكردية) الذي غالبًا ما يوظف المفردات العربية، مستكردةً، فإن العالم المادي المنظور الذي نحيا فيه إنما يخضع لتأثير عالم آخر لا نعيه، يُسمى بـ"العالم الباطن"، أي العالم الذي يتحكم بأرواح البشر وبحياتهم، والأخير عالم خفي.

ولكن على الرغم من عدم وضوح الآصرة بين العالمين من قبل الرائي الخارجي، فإن عالميَّ الروح هذين لا ينفصمان تأسيسًا على نوع من الانعكاسية، وكأن ما يحدث في عالم الروح الباطن ينعكس كالمرآة على عالم الروح الظاهر، والعكس صحيح، فثمة علاقة انعكاسية متآصرة بين العالمين. هذا المنظور يصعب إدراكه من قِبَل أتباع الأديان التقليدية الرئيسة.

وكما هي عليه حال الديانتين المندائية واليزيدية (يراجع الفصلين الثالث والرابع التاليين)، توجد ثمة أبعاد روحية معينة في دين أهل الحق هي حِكرٌ على رجال الدين اليارسانيين المعروفين بالـ"سادة"، نظرًا لمعرفتهم المتعمقة بالدين، وهي معرفة بعيدة

المنال بالنسبة للعامة من أتباع هذا الدين، الأمر الذي يؤهل رجال الدين فقط لتلاوة نصوصهم المقدسة المعروفة بالـ"كلام" في مناسبات دينية معينة تعرف بالـ"دجام"، وهي مناسبات تتجسد فيها آصرة الأخوة بين المؤمنين على سبيل تجربة التسامي فوق مكبلات المادة إلى الأعالي عبر تجربة نوع من اللذات الروحية التي تمكِّن المؤمنين من فعل ما لايمكن للمرء أن يعقله، كالسير حفاةً على الجمر الملتهب[1]. للمرء أن يلاحظ ثمة توازٍ بين هذه الآفاق الروحية المتسامية وتقاليد المتصوفة.

ولكن على الرغم من مبالغة بعض الباحثين في التوكيد على "الرابطة الأخوية" التي تجمع بين أهل الحق، درجة خلق الانطباع بأن هذا الدين لايزيد عن كونه "أخوية" مكونة من أفراد متساوين، فإن للمرء أن يشير إلى الطبيعة الطبقية أو المرتبية لمجتمع أهل الحق الذي يبدو، من منظور سطحي، مجتمعًا مكونًا من أفراد متساوين من الأخوة والأخوات. أما الحقيقة فهي تختلف عن ذلك، لأن "المعرفة الروحية" هي المعيار الأساس الذي يرتكن إليه نوع من التدرج الطبقي الديني/الاجتماعي للأفراد بضمن هرمية دينية خاصة بأهل الحق. إن هذه المعرفة الروحية إنما هي المسؤولة عن توزيع الأفراد على سُلّم مجتمع هذه الأقلية الدينية الهرمي، مقسمة إياهم إلى أربع جماعات أو مرتبات، ابتداءً من المرتبة الأعلى،

وهي المرتبة الخاصة بهؤلاء الذين بلغوا "الحقيقة المطلقة" ("حقيقت"، بلغتهم). وباعتبار اعتماد المعرفة الدينية والروحية معيارًا أوحدًا للتوزيع المرتبي للأفراد، تبدو طريق تسلق هذا السُلَّم واضحة للعيان، إذ يتوجب على اليارساني المؤمن أن ينذر حياته لتسلقه بادئًا بالمرتبة الدنيا الأولى، أي مرتبة "التعرف" knowing، ويقصد بها التعرف بكتاب أهل الحق المقدس المعروف بـ(كلامي سانجام) Kalame Sanjam، بوصفها مرتبة ابتدائية تتطلب الإلمام بأوليات الدين وتشريعاته وطقوسه الأساسية، أي التعرف بـ"الشريعة" ("شريعت"، بلغتهم). وتلي ذلك مرتبة الباحث عن الحقيقة التي يرتقي بها المومن السلم درجة أعلى في سبيل فقه الطريق المؤدية إلى مرتبة معرفية أعلى، الأمر الذي يبرر تسمية المرتبة التالية بـ"الطريقة" ("طريقت"، بلغتهم). أما المرتبة الثالثة، فهي مرتبة المُكرَّس Dedicatee ، وتتحقق عندما يكرِّس الفرد وجوده للمعرفة الروحية المعمقة. لذا تعرف هذه المرتبة بـ"المعرفة"، ("معرفت"، بلغتهم). أما أسمى الطبقات، أي طبقة الحقيقة التي مرَّ ذكرها، فإنها من الطبيعي أن تمثِّل تتويجًا لجهد الإنسان في سعيه للمعرفة الروحية "المطلقة"، إن صح التعبير في سياق كهذا. إذا ما بلغ الفرد اليارساني هذه الطبقة فإنه يسمو بنفسه فوق العالم المادي المنظور "الظاهر" ("زاهر" في لغتهم)، المشار إليه في أعلاه، على سبيل سبر أغوار حقائق العالم الباطن ("باتن" في لغتهم) الخفية، وهو عالم الحقيقة الباطنية

الكامنة خلف العالم الظاهر الذي لا يشكِّل - حسب عقائدهم - سوى لباسًا خارجيًا يلف عالم الحقيقة المبطونة، المطلقة. وللمرء، في هذا السياق أن يستذكر "فلسفة الملابس" التي طرحها الفيلسوف الأسكتلندي توماس كارلايل Carlyle (١٧٩٥ - ١٨٨١) في كتابه المأثور المعنون (سارتور ريسارتوس) Sartor Resartus (المنشور بين ١٨٣٣- ١٨٣٤)، إذ أنه عندما تحدث عن "فلسفة الملابس" إنما كان يقترب كثيرًا من عقائد أهل الحق وتيقناتهم دون أن يفقه وجود دين مؤسَّس على شبيه لهذه الفلسفة في الشرق الأوسط، لنلاحظ شيئًا مما كتب كارلايل في الكتاب أعلاه: " إن الذي تراه ليس موجودًا بذاته، بل هو، بالمعنى الأدق لا موجود، موجود فقط ليمثِّل فكرة : فالمادة موجودة فقط على نحوٍ روحي، بهدف أن تجسد فكرة ما لتقديمها... ما الإنسان ذاته وحياته الدنيوية سوى رمز "[٢].

ولكن من ناحية أخرى، سوى الناحية الطبقية المؤسَّسة على درجات المعرفة الروحية، تتجسد المساواة الأخوية بين أهل الحق فيما يطلقون عليه بلغتهم الـ"دجام" djam، وهو نوع من التجمعات الدينية/الاجتماعية التي يقيمها أهل الحق على نحو دوري لمراجعة حال مِلتَّهم ومجتمعهم، ولمعالجة قضاياه وإشكالاته. تُنظَّم تجمعات "الدجام" أعلاه من قبل ما يسمى بـ"الخاندانات" khandān، وهي روابط فرعية تجمع أهل الحق كأخوة وأخوات، ليس بآصرة الإيمان الديني فقط، وإنما بالآصرة الأخوية الأسرية كذلك. تنبع هذه الآصرة الأسرية من تآخي أفراد "الخاندان" الذين يخضعون لإرشاد وتوجيه رجل أو عرَّاب يرمز للأبوة الروحية في سبيل قيادة هذه الوحدة الدينية/الاجتماعية الفريدة، الخاندان. هذا المرشد هو رجل مهيب يخدم رئيسًا ورمزًا أبويًا، لذا يطلق عليه لفظ "سيد" لأن جميع أفراد الخاندان يأتمنون "رقابهم" بين يديه، كناية عن ثقتهم المطلقة به. هذا النوع من إئتمان الفرد حياته بيد "السيد" إنما يتحقق بنذر، يسمى في لغتهم بـ"سار سيبوردان" sar sepordan، ويعني أن ينذر عضو الخاندان نفسه لعهد مقدس covenant يؤمنون بأنه تجسيد لعهد قديم؛ عهد كان قد عُقد بين الرب وجبرائيل باعتبار أن الأخير هو "السيد الأبدي"، حسب معتقداتهم.

إن هذه "الأبوة" التي تشرف على نظام الخاندان إنما هي في جوهرها اعتراف المؤمن من أهل الحق بسيادة "السيد"، بمعنى رئاسته للخاندان، أي الرئاسة التي تؤهله لحمل لقب "بير" Pir، أي

المرشد على الطريق الطويلة نحو الحقيقة المطلقة. وتاسيسًا على ذلك تنمو آصرة أسرية بين أفراد الخاندان، وهي آصرة أخوة تتبلور بالشراكة في الرضوخ لتوجيه وقيادة سيد أو "بير" واحد، هو بمثابة والدهم جميعًا. ولأنه لا يوجد اليوم عند أهل الحق سوى أحد عشر خاندانًا في عموم أنحاء العالم، فإن للمرء أن يفترض أن الخاندان إنما يمثِّل عائلة بديلة للعائلة البايولوجية المتواشجة بصلة الدم. لذا فإن ولاء أفراد الخاندان لرمز أبوي واحد تحيل الآصرة بين الـ"بير" (أي رئيس الخاندان) والمريد (أي عضو الخاندان) إلى آصرة ثابتة، غير قابلة للإنفصام مدى الحياة، لأنها آصرة أبدية، حسب معتقداتهم. هي آصرة تهيمن على عقلي الشخصين المقصودين، باعتبارها آصرة السيد بمريده (بير/مريدي، بلغتهم)، أو آصرة الأب بابنه. لا ريب بأن هذا تنظيم ديني فريد متأسس على نوع من إعادة تنظيم الصلة الأبوية/الأخوية بضمن مهاد الخاندان غير المألوف في الأديان الأخرى، درجة أن أفراد الخاندان يغدون عائلة واحدة، فلا يتزاوجون فيما بينهم، إخوة وأخوات[٣].

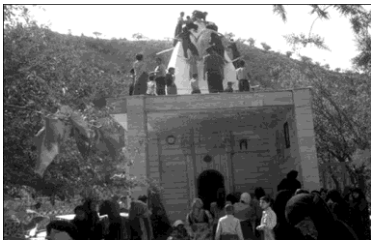

وإضافة إلى الآصرة الأسرية التي تخلقها مؤسسة الخاندان بين أفراده، يتولد ثمة نوع من التضامن بين أفراد هذه الأقلية الدينية عامة، وهو تضامن ديني صلب تجسده أغلب الأقليات الدينية لأنه يمثل شرطًا مسبقًا لبقاء تلك الأقلية وتواصلها بضمن مهاد اجتماعي عدائي أشمل، كما هي عليه الحال في المجتمعات الإسلامية التي تتنامى فيها الحركات الدينية الجذرية والتكفيرية بوتيرة سريعة. هذه هي دواعي تكافل أهل الحق في آنيتهم الاجتماعية الأوسع عبر بقاع تواجدهم الجغرافي في العراق وإيران وتركيا، على نحو خاص. يلقي هذا النوع من التضامن بين أفراد هذه الأقليات الضوء على التكافل الذي يحرص عليه أهل الحق على نحو متواصل، الأمر الذي يذكِّر المرء بتكافل اليزيديين المستقرين حوالي مدينة الموصل، شمال العراق، نظرًا لتفضيلهم السكنى في مناطق جبلية وعرة طوبوغرافيًا بعيدة المنال بالنسبة للغرباء وللمتطفلين الذين غالبًا ما يرونهم وكأنهم معتدين، فيقول لسان حالهم: شكرًا للعقبات الجغرافية الطبيعية لدورها الأمني العازل[٤].

إن رؤساء الخاندانات الذين سبق ذكرهم، أي السادة، إنما يحظون بنظرة علوية من قِبَل العامة، نظرة تعدهم رجالاً مقدَّسين، أهلاً للطاعة المطلقة من قِبَل أهل الحق جميعًا، خاصة وأنهم يعدون تآصرهم بهؤلاء السادة القديسين أسمى من أية آصرة تربطهم بأي شخص آخر في الوجود. يرتقي هؤلاء الذين يحظون بلقب الـ"بير" أو السيد على العامة بسبب انحدارهم "الروحي"، الذي ينسبونه إلى

الملاك الرئيس "بنيامين" (تجسيدًا لجبرائيل)، وهو الملاك الرئيس الأول من بين الملائكة الرئيسة Archangels الذين يعرفون بالـ"هافتان" haft tan بلغة أهل الحق الكردية. وهم الملائكة "المذكرة" الرئيسة الأساس، الذين تضاف إليهم ملاك رئيس مؤنث واحد، هي السيدة "خاتوني رازبار" Khatun-e Razbar، والدة مؤسس هذا الدين، "سلطان ساحاق" أو "السلطان إسحاق". إنه لمن الطريف أن يلاحظ المرء أن أهل الحق ينظرون إلى السيدة خاتوني رازبار بوصفها معادلاً للسيدة مريم العذراء عند المسيحيين، نظرًا لطُهرها وعفتها: فهي ولدت سلطان ساحاق دون أن يمسها رجل، كما سنفصل ذلك لاحقًا[٥].

يضطلع بقية الملائكة الرئيسين، إضافة إلى بنيامين وخاتوني رازبار، بوظائف محددة، حسب معتقدات أهل الحق الدينية، وهي الوظائف التي تكمل كل واحدة الأخرى في ملكوت روحي مهول يصعب الإلمام به أو إدراكه من قبل العامة.

والملائكة الرئيسون الباقون هم:

- داود، وهو الذي يجسد الملاك "ميخائيل".
- مصطفى (المختار أو المجتبى)، والذي يجسد الملاك "عزرائيل".
- "بير موسي"، والذي يجسد الملاك المسؤول عن تسجيل أفعال البشر، ويعتقد أهل الحق أنه هو من ألف كتابهم المقدس المعروف بـ(كلامي سانجام).
- بابا ياديغر[٦].

تتعزز السلطة الدينية للسادة من رؤساء الخاندانات بحق تلاوة نصهم المقدس المعروف بـ"كلام"، على نحو منوَّط ومُلحَّن على أنغام آلات موسيقية خاصة، وأحيانًا بمزجه بيما يسمى بـ"الذكر"، أي الترتيلات الدينية المتسامية التي ما تلبث وأن تنطلق لحظة السمو بالذات إلى رحاب لذة الارتقاء الروحي التي تذكرنا بما يحدث عند المتصوفة في الإسلام وفي سواه من الأديان.

يؤمن أهل الحق أن الله (ويسمى خافانداغ، أي الجوهر الرباني، بلغتهم) قد خلق الكون والمخلوقات ومنها البشر، بوصفه السبب الأول؛ ثم ترك الكون كي تديره ستة تجسدات له من خلال حلول روحه في دواخل اشخاص (عقيدة الحلول)، ابتداءً من زمن التكوين حتى حقبتنا الجارية. لذا فإن هذه التجسدات إنما تلبس الشكل الآدمي، فتعد في عقائدهم من المظهريات ("مزهريات"، بلغتهم)، لأنها انعكاسات ظاهرة مرئية للجوهر الرباني، أي (الخافانداغ). وإذا كان هذا الجانب المزدوج للكينونة يتماهى إلى مثل هذه المديات، فإنه يساعد، من ناحية ثانية، على تطوير عقيدة "التشبيه"، أي تشبيه الشيء بالخالق[٧]. لذا تتطابق هاتان العقيدتان مع الأعمدة السبعة لديانة أهل الحق، خاصة بقدر تعلق الأمر بالعقائد ذات الصلة بالتجسد الإلهي وبما تؤول إليه من تيقنات ثنوية، بمعنى نسب الخلق إلى إلهين، وهي من العقائد التي كانت سائدة في بلاد

الرافدين وفارس في عصور ما قبل ظهور الديانات التوحيدية، لذا يتشبث بعض الباحثين المضادين للتشيع بمثل هذا العقائد اليارسانية لنسب الغلو والحركات الشيعية الغالية إليها والعكس صحيح، خاصة وأن الأخيرة قد ظهرت وانتشرت في ذات الأقاليم المذكورة أعلاه عبر العصر الأموي على نحو خاص [٨]. يزعم هؤلاء الباحثون أن الجماعات العلوية الموجودة في تركيا وإيران وأنحاء من العراق إنما يعبدون الإمام علي بن أبي طالب (رض) من دون الله، حسب معطيات طرائق النقد الباحث عن الأخطاء. لذا فإنهم ينتقون عددًا من العقائد والتيقنات التي يحتضنها الشيعة، مثل المهدوية، على سبيل نفي الشيعة خارج فضاء الإسلام ككل.

في كون مسكون بالأرواح والأشباح كذلك الذي يؤمن به أهل الحق، يضطر أهل الحق إلى الإيمان بأنهم إنما يشاركون "مخلوقات" وقوى أخرى في الوجود بدواخل هذا الكون، ومن هذه المخلوقات تلك الأرواح التي سبق أن تلبست بألف شكل بشري على طريقها الكونية الطويلة لبلوغ الحقيقة المطلقة ("حقيقت"، في لغتهم) التي قدر لها أن تبلغها عبر تناسخات روحية تسلسلية متتالية حتى حدوث التناسخ الأخير [٩]، ويكون هذا التناسخ الأخير رقم ١٠٠١. لذا فإنه من المفيد أن نبحث على نحو علمي عن صلة هذا الرقم بالثقافات الشرق أوسطية الوسيطة وبأهم أعمالها الفولكلورية، مجهولة التأليف، كتاب (ألف ليلة وليلة)، المعروف في العالم الغربي بـ(الليالي العربية). قد ينجلي هذا المعتقد اليارساني بتتابع

الروح التناسخي على نحو صندوق صيني لا متناهي، عن تجسدات متتالية حتى ألف مرة ومرة؛ وهو قد يؤشر صلة بالثقافات الشرق-أوسطية القديمة. ولكن بالرغم من طول هذه الرحلة الكونية للروح عبر ألف تلبس وتلبس بجسد مختلف، فإن تقليد أهل الحق الروحي، كما هي عليه حال تقليد المندائيين (راجع الفصل الثالث من هذا الكتاب) إنما ينطوي على فلسفة فريدة في نظرتها للتاريخ الكوني، وهي فلسفة تقسِّم هذا التاريخ إلى عدة حقب كبرى تأسيسًا على الشكل البشري الذي يحل به "الجوهر الإلهي" (خانداغار) على سبيل التجسد. وللمرء أن يلاحظ هنا أنه ليس من الواضح على نحو دقيق كيف تمَّ هذا التحقيب وكيف تدشن ثم تغلق كل حقبة كبرى، وماهي دلالاتها وجدواها، بالرغم من أن أهل الحق يؤمنون أن الحقبة الأولى تتوازى مع أول الملائكة الرئيسين الذين تمت الإشارة إليهم أعلاه، بينما تتوازى الحقبة الثانية مع الإمام علي (رض)، تجسيدًا للرب. من هنا نبع الخطأ الشائع الذي يفضي إلى عد أهل الحق جماعة شيعية غالية، وهو مفهوم خاطئ شاع بين المسلمين السُّنة خاصة هؤلاء الذين يجاور سكناهم مناطق سكن أهل الحق. ولكن من ناحية ثانية، يمكن أن يستفيد أهل الحق من هذا الخطأ الشائع، خاصة وأنه يوفِّر لهم غطاءً تمويهيًا يحميهم من عبث وتجاوزات بعض المسلمين المتطرفين في شؤونهم، زد على ذلك خشية أهل الحق من تندر هؤلاء بعقائدهم الأساسية. لذا يغدو اللوذ باسم الإمام علي (رض) أشبه بتقليد "التقية" عند الشيعة، وهو التقليد الهادف

إلى إخفاء مواقفهم السياسية وعقائد جماعتهم الدينية خشية إحالتها إلى سلة الشرك أو البدع من قبل المسلمين عامة، فتوجب محاربتهم. إن الهدف النهائي لذلك كله هو تحقيق الأمان. إن التشبث باسم الإمام علي (الذي يسمى شاه كوشن، في لغتهم) في التقاليد الدينية التركيبية أو التوفيقية من هذا النوع، وكما هي عليه الحال مع أهل الحق، إنما يكون مفيدًا ومقيدًا في ذات الوقت بالنسبة لأتباعها، باعتبار أن تضمين هذا الاسم المقدس عند المسلمين يندرج في الطبيعة التركيبية الأساس التي قامت هذه الأديان عليها. إن الإمام علي (رض)، في هذا السياق، مهم من ناحية ثانية لأنه يرمز للتجسد الإلهي الثاني في عقائد أهل الحق، إضافة للتجسدين الآخرين للجوهر الإلهي، خاصة التجسد الأخير في شخص سلطان ساحاق، مؤسس هذا الدين. وإذا كان الاعتقاد بأن سلطان ساحاق قد ولدته أمه "خاتون رازبار" تجسدًا إلهيًا، فإنه، على أغلب الظن، اعتقاد مستدان من العقائد المسيحية. لذا يكون ضم اسم الإمام علي استكمالاً للطبيعة التوفيقية أو التركيبية لهذا النظام الديني. ثمة عنصر مسيحي في الحال الأولى وعنصر إسلامي في الثانية. أما في الأولى، فيتجسد ذلك في ولادة سلطان ساحاق من أمٍّ لم يمسها رجل، إذ تذهب الأسطورة إلى أنه كانت هناك عذراء كردية غافية تحت شجرة رمان، وإذا بطائر ينقر إحدى الثمار المتدلية من الشجرة، مسببًا سقوط البذور الحلوة من تلك الشجرة إلى فم الشابة الجميلة كي تتلقح منها ثم تلد مؤسس الديانة اليارسانية، سلطان

ساحاق. و إضافة على إيحائها بفكرة العذراء المسيحية، يحيل بعض الباحثين ذات الحكاية إلى أصول أقدم، أصول زرادشتية ومن ثم إلى المأثور "المثري" Mithraic القديم، لأنهما قد أداما فكرة "بتولية" مشابهة تتصل بولادة "زاراتوشترا" و"سوشيانت" المخلصين، حسب الأساطير الإيرانية/الكردية القديمة.

للمرء استمكان معتقدات أهل الحق المهدوية في نص كتابهم المقدس (كلامي سارانجام) والمعروف كذلك بعنوان (سنجار) اختصارًا، أي "خلاصة الخطاب"، وهو كتاب مؤلف من ثلاثة أقسام رئيسة يمكن مباشرتها كتمثيلات لحقب ألفية، كل واحدة منها تتشكل من تجلي تجسد إلهي معين. وبالرغم مما يعتوره هذا الكتاب من شكوك حول التأصيل وغموض حول التأليف، فإن للمرء أن يلاحظ أنه مؤلَّف من الشعر القصصي الذي يُنسب إلى "بيرموسي"، الملاك الرئيس المسؤول عن التسجيل. لذا فإن الأقسام الثلاثة من الكتاب تؤشِّر ثلاث حقب، حسب عقائد أهل الحق في الوجود، وهي: أولاً، "حقبة الرب"، "خانداغار"، وثانيًا، حقبة "علي خاشن"، وثالثًا، وأهم الحقب السابقة، هي حقبة "سلطان ساحاق" القائمة لليوم، أي الحقبة التي دشنها ظهور مؤسس ديانة أهل الحق، سلطان ساحاق. تمثل هذه الحقبة الأخيرة غاية التجسد المتمثل بحلول الجوهر الإلهي في جسد إنسان. لنلاحظ بأن حياة سلطان ساحاق [١٠] كانت قد تناغمت إلى حدٍّ بعيدٍ مع غموض أسطورة ولادته التي سبق الإشارة إليها. وبوصفه التجسد الإلهي

المطلق، فقد ظهر الرجل، حسبما نقل عن سيرته من قبل المؤمنين به من أتباع هذا الدين، مزيجًا من الحقيقة والأسطورة. إنه يرمز لعقائد أهل الحق الألفية المهدوية، فقد عُدَّ سلطان ساحاق مصلحًا وباعثًا للعهد الأصل المسمى بـ"بياباسي باربفاري"، باللغة الكردية، أي العهد الذي تمَّ بين الخالق والإنسان. وتأسيسًا على أن سلطان ساحاق يضطلع بمهمة بهذه الجسامة يعد ظهوره تدشينًا لواحدة جديدة من الحقب العظمى الأساسية التي أشرنا إليها في أعلاه، أي الحقبة التي شهدت ظهور دين أهل الحق نظامًا روحيًا.

لقد بدأ سلطان ساحاق باستقطاب العديد من المريدين والتابعين من الباحثين عن الحقيقة المطلقة، إذ أنهم وجدوا عنده الأعمدة العقائدية الأساس التي يتمسك بها أهل الحق المؤمنون أيمَّا تمسك حتى اليوم. كما ويُشاع عن حياته أنه قد عاش حياة متسامية حتى حضرته المنية، فدُفن في منطقة شيخان بالقرب من مدينة الموصل، شمال العراق، إذ استحال قبره مزارًا يتردد عليه المؤمنون في مناسبات دينية عدة على نحو سنوي.

لا ريب في أن "التآخي" هو أهم مبدأ وضعه سلطان ساحاق لمريديه وللمؤمنين بدينه، تلك الرابطة التي تجسِّدها مؤسسة الـ"خاندان" التي أشرنا إليها في بداية هذا الفصل، بوصفها مؤسسة "أخوية دينية" ("سارسيبوردان" بلغتهم)، تنعم بقيادة ورعاية "السيد" الذي يشبه العرَّاب في تمثيله سلطة روحية أبوية يقدم لها أهل الحق عهد الوفاء والإيمان والولاء المطلق درجة الافتداء.

تنبع من هذه الآصرة الأخوية المتينة التي تمثلها مؤسسة الخاندان آصرة أُسرية قوية، هي من أهم السجايا المشتركة لدى جميع أنظمة الأقليات الدينية، نظرًا للحاجة القوية للتماسك من أجل الدفاع عن الذات، وفي سبيل عكس القيمة الذاتية الخاصة بهذه الأقلية بضمن مهاد اجتماعي إسلامي أوسع يميل لأن يخص هذه الأقليات بنظرة دونية ملؤها الشك في أنها ديانات مشركة أو عبادات وثنية كافرة. هذا هو ما يفسِّر الخوف الهاجسي من الآخر في دواخل أهل الحق.

إن محافظتهم على نظام تزاوج مغلق، لا يسمح بالاقتران بمن هو أو هي من أتباع الأديان الأخرى، قد تعززت بطوبوغرافية البقاع الكأداء الصعبة المنال التي يسكنونها على نحو متناثر. لقد جعلت هذه الطبيعة الجغرافية الصعبة من رجالهم مقاتلين أشدَّاء، إذ ترمز شواربهم الطويلة ـ التي يُحرَّم عليهم قصّها أو تقريمها مدى الحياة ـ للرجولة والبسالة اللتين يعتزون بها تعبيرًا عن الاستعداد الدائم للقتال وللمحافظة على مسافة نفسية واجتماعية بينية تفصلهم عن سواهم من أتباع الأديان الأخرى.